حكايات

أبو الأفكار

مغامرات عربي في الدنيا الجديدة

٢

عن فكرة : مصطفى أمين

يكتبها للأطفال

أحمد نجيب

ريشة : محمود الهامي

الطبعة الثانية

دار المعارف

مغامرات عربى فى الدنيا الجديدة

مُنذُ أكثرَ مِن ٤٥ سَنة

كانَ (مُصطَفى أَمين) طالبًا يَدْرُسُ فى الولاياتِ المُتَّحِدَةِ الأمْرِيكِيَّة..

وقَابَلَ رَجُلاً عَربيًّا فِلَسْطِينِيًّا.. اسمُه عَدْنَانُ المِصرى..

وكانَ من أَكبرِ الأغنياءِ فى أَمريكا..

وعَرفَ مِنْهُ قِصَّتَهُ العَجِيبَة..

القِصَّةُ عَجِيبَةٌ.. ولكنَّها حَقِيقِيَّة..

أَمَّا الاسم «عَدْنانُ المِصرى» فَهُوَ غَيْرُ حَقِيقِىّ..

لأَنَّنَا فى هذِه القِصصِ نُغَيِّرُ أَسْماءَ الأبطالِ.. حتَّى لا يَعْرِفَهُم القُرّاء.

كان عَدْنانَ طِفلاً صَغِيرًا مِسْكِينًا

يَعِيشُ مَعَ أَبِيه.. فى وطَنِهِ فِلَسْطِين..

الأَبُ ماتَ.. وعَدْنَانُ صَغِير..

الأَبُ لم يَتْرُكْ لابنِهِ عَدْنَانَ.. إلاّ حِمَارًا..

ماذا يَفْعَلُ عَدْنانُ لِكَىْ يَعِيش..؟

كانَ يُؤَجِّرُ الحِمارَ لِلسَّيّاح..

السَّائحُ يَرْكَبُ الحِمار.. وعَدنانُ يَجْرِى وَراءَهُ..

ثمَّ يَأخُذُ مِنْهُ الأَجْر..

مِسْكِين عَدنان!.. كانَتْ حياتُهُ شاقَّةً قاسِيَة.

وَمرَّتِ الأيّام.. وكَبِرَ عَدْنان..

وفى يَوْمٍ منَ الأيّام..

قابَلَ سائِحَةً أمْرِيكِيَّةً عَجُوزًا..

السائِحَةُ العَجوزُ أُعْجِبَتْ بِذَكَاءِ عَدنانَ ونَشاطِهِ وأَخْلاقِهِ..

فعَرضَتْ عَلَيهِ أن يُسافِرَ معَها إلى أمريكا..

عَدنانُ قَبِلَ.. وَرَكِبَ البَاخِرَةَ فى الدَّرجَةِ الثَّالِثَة..

وهُوَ يَحْلُمُ بأمْرِيكا.. ويَحلُمُ بما هُناك..

ولكنْ..

فى أثْناءِ الرِّحْلَةِ.. قَبْلَ أن تَصِلَ الباخِرةُ إلى أمْريكا..

ماتَتِ السَّائِحَةُ الأمْرِيكيَّةُ العَجُوز..

* * *

وَمرَّتْ أيّام..

ورَسَتِ البَاخِرَةُ على شَواطِئِ أمريكا..

ووَصَلَ عَدنانُ إلى مَدِينةِ (نُيويُورْك)..

وسَارَ فى شَوارِعِها.. لا يَعْرِفُ ماذا يَفْعَل.. ولا إلى أيْـنَ يَـذْهَبُ فى هَذهِ المَدينةِ الضَّخْمَةِ الكَبِيرَةِ، الّتى لا يَعْرِفُ أحدًا فِيها.. ولا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ..

وَرَأى فى أَحدِ الشَّوارِعِ.. بعضَ عُمَّالِ البِناءِ يَبْنُونَ بَيْتاً..

فاقتَربَ مِنْهم.. وَأَرادَ أن يَـطْلُبَ مـن رَئيسِ العُمّـالِ أن يُشَـغِّلَهُ مَعَهُم..

ولكنَّهُ تَذَكَّرَ أنَّهُ لا يَعْرِفُ كلمةً واحِدةً منَ اللُّغَـةِ الإنجليـزيّةِ.. فَلَـمْ يَتَكَلَّمْ..

وإنَّما بدَأَ يُساعِدُهُم.. فى صَمْتٍ وهُـدوءٍ.. ولـكنْ بِهِمَّـةٍ ونَشـاطٍ وَصَبْرٍ.. وعلى وَجْهِهِ ابتسامَةٌ خَفيفَةٌ تُوحِى بالمَودَّةِ والصَّدَاقَة..

العُمَّالُ أُعْجِبُوا بِذَكائِهِ ونَشاطِهِ.. وتَركُوهُ يَعْمَلُ مَعَهُم.

وَجاءَ اللَّيل.

فنَامَ عَدنانُ على الأرضِ إلى جِوارِ حائطِ البَيْتِ.. فى بَرْدِ «نُيـويُورْكَ» الشَّديد..

وفى الصَّـباح.. استَمَرَّ يَشْتَغِلُ معَ عُمّالِ البِنَاء..

وكان يَقُومُ بِكُلِّ الأعمالِ.. بِصَبْرٍ وَهِمَّةٍ ونَشاط..

يَحْمِلُ الأحجارَ على كَتِفِهِ.. ويَحرُسُ مَوادَّ البِنَاءِ بالَّليل..

لا يَتْعَبُ ولَا يَشْـكُو.. والابتِسامَةُ الخَفِيفَةُ، ومَـلامِحُ الـوُدِّ والصَّـداقَةِ لا تُفارِقُ وَجهَهُ البَشُوشَ المُرِيح..

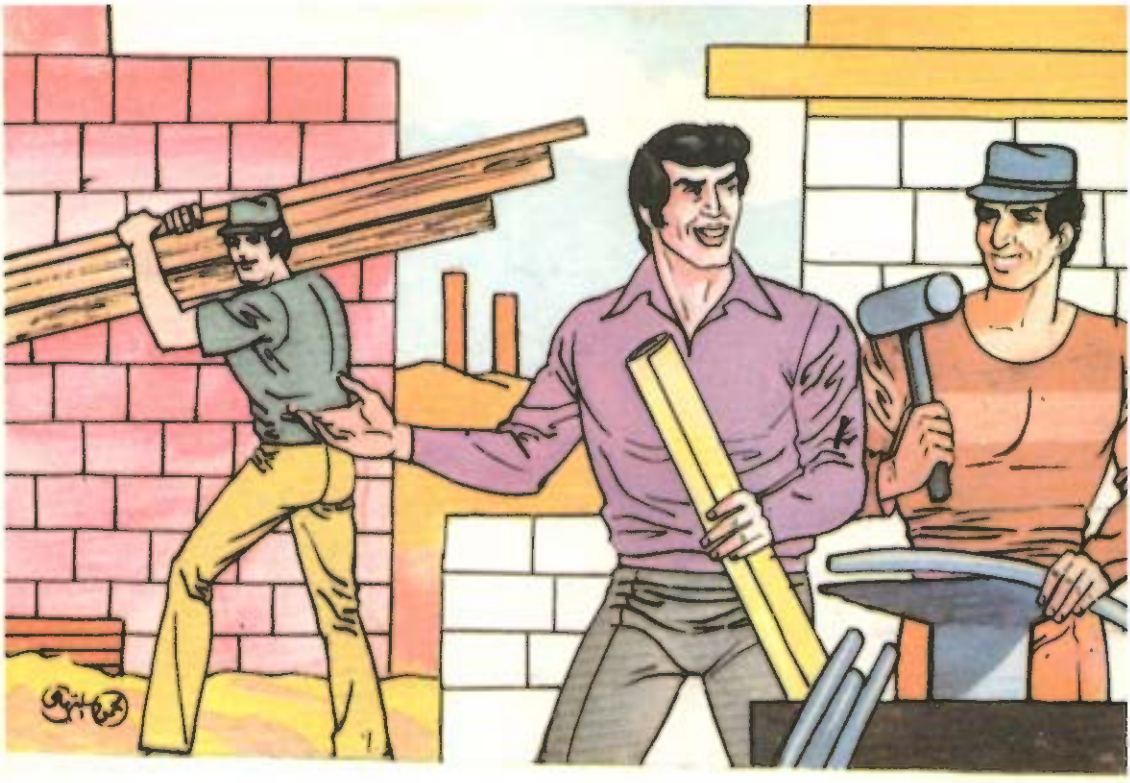

عَدنانُ الذَّكِيُّ.. لاحَظَ عُمَّالَ البِنَاءِ وهُمْ يَشْتَغِلُون..

فتعلَّمَ مِنْهُم بِسُرْعَة..

وأَتْقَنَ العَمَلَ.. فأصْبَحَ عامِلاً ماهِرًا..

فَجمعَ بَيْنَ الأخْلاقِ الحُلْوَةِ.. والمَهارَةِ والإتْقان..

فزَادَ إعجابُ الجَمِيعِ بِه.

* * *

وَمرَّتِ الأيّام..

وَأَصبَحَ عَدنانُ رَئِيسًا للعُمَّال..

وَوَثِقَ بِهِ أَصحابُ الأعمال..

فَزادَ إقبالُهُمْ على العَملِ مَعَهُ.

عَدنانُ الذَّكِيُّ النَّشِيط..

أَخذَ يَقْتَصِدُ.. وَيُوَفِّرُ منْ أَجرِهِ..

حتَّى كَوَّنَ لِنَفْسِهِ رأسَ مَالٍ بَسِيطاً..

وأصبحَ مُقاوِلاً صَغِيرًا جِدًّا..

وبِذَكائِهِ ونَشاطِهِ وأخْلاقِهِ.. بدَأَ يَكْبُر.. ويَكْبُر..

وَأعمالُه تَتَّسِعُ.. وتَتَّسِع..

والكلُّ مُعجَبُونَ بِهِ.. وَمُسْتَرِيحُونَ فى العَمَلِ مَعَهُ.. لأنَّه أَمِينٌ لا يَغُشُّ فى عَمَلِه..

صادِقٌ لا يَكْذِبُ أبدًا.. ودائِمًا وجهُهُ بَشُوشٌ باسِم..

* * *

وأَصْبَحَ عدنانُ مُقاولاً كَبِيرًا فى «نُيويُورْك»..

ثمَّ قَرَّرَ أن يُسافِرَ إلى العاصِمَةِ «واشِنْطُن»

وَيَعْمَلَ وَسْطَ كِبارِ المُقاوِلين..

فَسافَرَ.. ودَخَلَ مَيْدَانَ كِبارِ رِجالِ الأعمالِ والمُقاوَلَات..

وبَعْدَ سَنواتٍ منَ العَمَلِ والكِفاحِ.. والصَّبرِ والعَرَق..

أَصْبَحَ عَدْنانُ أكبرَ مُقاوِلِ عِماراتٍ فى «وَاشِنْطُن» عاصِمَةِ أمريكا.

وَبدأَ يُفَكِّرُ فى الزَّواج..

وَنظَرَ حَولَهُ..

فَوَجدَ عَشَراتٍ منَ الأُسَرِ الأمريكيَّةِ الكَبِيرةِ.. كلُّها تُرَحِّبُ بِهِ..

وَتَتَمَنَّى أن يَتَزوَّجَ واحِدَةً من بنَاتِها.

ولكنْ..

عَدنانُ المِصرىُّ لم يَنْسَ وَطَنَهُ فِلَسْطِين..

ولم يَنْسَ أهلَهُ هُناك..

فَتَركَ كلَّ فَتَياتِ أمريكا.. وتَزَوَّجَ فتاةً فِلَسْطِينيَّةً مِثْلَهُ..
عاشَتْ مَعَهُ فى أمريكا.. لِتُشَارِكَهُ نَجَاحَهُ الكَبِير..

* * *

عَدنانُ المِصرىُّ أيضًا لم يَنْسَ أُمَّهُ فى فِلَسْطِين..
كانَ يُرسِلُ إلَيها ما يَلْزَمُها منَ النُّقود..
وَعِندَمَا أَصْبَحَ غَنِيًّا..
أحضَـرَها من فِلَسْطِينَ لِتَعِيشَ مَعَهُ فى أمريكا..
وَبَنَى لَهَا طابَقاً خاصًّا فى إحدى عِمارَاتِهِ الكَبِيرة..
وَجَعَلَ هَذا الطَّابَقَ على الطِّرازِ العَربىِّ الجَمِيـل.. بمـا فِيـهِ مـن زَخَارِفَ عَرَبِيَّةٍ.. ومَشرَبِيَّاتٍ بَدِيعة.. حتَّى تَعِيشَ فى أمريكا.. وكأنَّها فى فِلَسْطِين.. وَطَنِها العَزِيز..

* * *

والآن..
يَعِيشُ عَدنان.. سَعِيدًا يَحْكِى قِصَّةَ كِفاحِهِ ومُغامَراتِهِ الطَّوِيلَة..
منذ أن كانَ طِفلاً يَجْرِى وراءَ الحِمار.. إلى أن أصْبَحَ أكبـرَ مُقـاوِلِ عِماراتٍ فى أمريكا..
وصدَقَ اللَّهُ العَظِيم: ﴿إنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾..

فكرة!..

أفرح كلما رأيت عربيا يعمل فى أوربا وأمريكا. أشعر أن كُلَّ واحد من هؤلاء هو علم نرفعه وراء البحار! يجب أن نهتم به ونتتبع أخباره ونرعاه!

أسمع قصص نجاحهم وكفاحهم وكأنى أسمع أغانى أم كلثوم. لقد عرفتهم أول ما عرفتهم وأنا طالب فى الولايات المتحدة منذ أكثر من أربعين عاما! ورأيت يومها رجلا فلسطينيا لايقرأ ولايكتب، وقد أصبح يملك أكبر ناطحات السحاب فى واشنطن! وبدأ حياته فى فلسطين طفلا يتيما يجرى وراء حمار يركبه السياح. وأعجبت به سائحة أمريكية عجوز وعرضت عليه أن تأخذه معها إلى أمريكا فقبل. وركب الباخرة فى الدرجةالثالثة يحلم ببلاد العجائب. وفى أثناء الرحلة ماتت السائحة العجوز، ووصل إلى نيويورك لايعرف أحدًا ولايعرفه أحد، ولايعرف كلمة من اللغة الإنجليزية. ومشى فى الشوارع على غير هُدى، وتوقف أمام عمال بناء يبنون بيتًا، وتقدم لمساعدتهم دون أن يطلب أحد منهم المساعدة! وأعجبوا بنشاطه وذكائه وصبره وقوة احتماله فتركوه يعمل معهم وشاركهم طعامهم، وجاء الليل فنام على الأرض فى برد الشتاء القارص فى نيويورك، وقبل كل عمل عهدوا إليه به! كان يحمل الأحجار على ظهره، وكان يبنى، وكان يحرس الطوب، ولم يكن يبنى بيتا فقط، كان بهذا الكفاح يبنى شابًا ناجحًا، وأصبح رئيس عمال.. واقتصد من أجره وأصبح مقاولا صغيرا جدا وكبر وكبر وكبر.. ثم انتقل إلى واشنطن ونافس المقاولين الأمريكيين وأصبح بعد سنوات كفاح مريرة أكبر مقاول عمارات فى واشنطن. كل ذلك وهو لايقرأ ولايكتب أو كما قال مرة لى إنه اكتشف أن الوقت الذى يلزمه لتعلُّم القراءة والكتابة يستطيع أن يبنى فيه ثلاث عمارات! واليوم إذا أراد أن يوقع شيكًا كتب خطين فوق بعضهما بدلا من الإمضاء! وبهذين الخطين المتشابكين يسحب من البنوك الملايين!

ولم ينس وطنه. تزوج فتاة فلسطينية. وعندما اغتنى بنى لأمه طابقًا فى إحدى عماراته على الطريقة العربية بما فيها من مشربيات وطراز عربى فى الحمامات، وذهب إلى فلسطين وأحضرها إلى هناك لتقيم فى واشنطن وكأنها مازالت فى فلسطين!

وفى كل مشروع عربى يتقدم «هوى» مسرعًا للمساهمة فيه، سعيدًا بأن يمد يده للذين يريدون أن يبدءوا من أول السلم!

وقد غير اسمه من «هوى» إلى «هوارد».. ولكن قلبه لم يتغير أبدًا..!

كل واحد لنا من أمثال هذا الرجل هو قلعة لنا وراء الحدود!

مصطفى أمين

رقم الإيداع	١٩٨٧ / ٨٤٦٠
الترقيم الدولى	I.S.B.N ٩٧٧-٠٢-٢٣٠٨-٥

١ / ٨٧ / ٣٢٠ طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)